يسبح بالغدو ومن قبيل آتيك طلوع الشمس اي وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر
واما الآصال فهو اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع
الاصيل ايضا على أُصُل وآصال واصائل قوله وقرأ ابن عامر وعاصم اي برواية ابي بكر عنه فانه يقرأ
على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقي السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلثة
اعني له فيها بالغدو ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح له فيها فكانه
قيل من يسبحه فقيل رجال اي يسبحه رجال كما في قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يبكيه
فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث في بعض
الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل الى الاوقات المذكورة بعدها وكون اللام
زايدة والاصل تسبح الغدو والآصال بمعنى تسبح الاوقات التي يعبر عنها بالغدو والآصال جعل الاوقات
مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح رب هذه الاوقات فيها قوله وفيه ايماء بانهم تجار الا انهم
مع ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله شيء من ضروب المعاملات وقيل ان الآية نزلت في الذين لا يشتغلون
بالتجارة والبيع بل كانوا افرغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف
الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء ووجه الايماء انه لا يقال فلان لا تلهيه التجارة عن كذا الا وهو
تاجر في الاغلب ما ذكره القائل لا يتبادر الى الاذهان قال الحسن والله انهم كانوا يتجرون ولكن
اذا جاءت فرايض الله لم يلههم عنها شيء فقاموا بالصلوة والزكوة واقام الصلوة اتمامها برعاية
جميع ما اعتبره الشارع فيها من الاركان والشرايط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون
مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو الفا فاجتمع الفان فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقي
اقام ثم ادخلت التاء عوضا من الالف المحذوفة فقيل اقمت الصلوة اقامة ثم حذفت تلك التاء حال
الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام التاء المحذوفة في كونها عوضا عن المحذوف قيل المراد بذكر الله
الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به ما يتناول جميع ما يتضمن ذكره تعالى وتخصيص اقام الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر بعد التعميم لتعظيم شأنهما لكونهما اهم اقسام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز
ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول لا تلهيهم ويوما مفعول به لا ظرف على الاظهر و
تتقلب صفة ليوما قوله وتخصيصه يعني تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن او

لا يظنه

لا يظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج اليه
بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ما اتى به
في الدنيا من اعمال البر كصلة الرحم وقرى الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك
مما يعتقد ان له ثوابا عليه فهو لا يستحق عليه ثوابا وان كان من افعال الاثم فلو يستحق عليه عقابا
مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فكيف ما كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا وافى عرصة
القيمة ولم يجد الثواب الذي احتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه
حاله حال الظمآن الذي يشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد تعلق قلبه به ويرجو
به النجاة عما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجد شيئا مما حسبه فهو الماء في يعظم عليه
ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا التشبيه في غاية الحسن قوله لم يجده شيئا مما ظنه اشارة الى
جواب ما يقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله لم يجده شيئا ينفي ما اثبته وبينهما
تناقض قوله استغراضا اي يوفيه الله تعالى حسابه بان يقول اعرض علي ما عملته وما ادخرته
ليومك هذا واما مجازاة على اعماله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فما حسبه خيرا يعود
عليه شرا وعبثا لانه تعالى ابطله بكفره وما طمع فيه ثوابا اعقبه عقابا قوله الضماير اي الضماير
التي في قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها غير الضمير المنصوب في يراها قوله رسيس الهوى فعيل بمعنى
الفاعل من رس الحب في الفؤاد اي ثبت فان رسيس الشيء الثابت الذي لا ينفك عما تعلق به
وبالجملة جميع ما يصدر عن الكافر من العقايد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله
وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك
العقايد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدي بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره
الى ما هو الحق المقبول حقيقة فلا يدري الحق ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فيشتد
اصراره على ما هو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة التي
هي معظم الماء الغمر البعيد القعر يغشاه اي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوقه ذلك الموج موج
آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان في هذه الظلمات يكون حاله خلاف حال من احاط به نور توفيق
الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء الصالحين

Copyright © King Saud University